نمو الوظائف النفسية المختلفة وخصوصًا وظائف التذكر واللغة والوجدان وكذلك عن طريق نمو القدرات الحركية[1].

ولقد أفاض صاحب كشاف الفنون في توضيح المعنى وإن كان أقربها نسبًا إلى موضوعنا أن الذات، بمعنى الماهية ما به الشيء هو هو، وأعلم أن ذات الله تعالى عبارة عن نفسه التي بها موجود بأنه قائم بنفسه[2].

ونخلص من هذا العرض، لإشكالية المصطلح في فلسفة المفكر الكبير محمد إقبال إلى ما عبر عنه أستاذنا الدكتور العراقي أن التأكيد من جانب إقبال على «الذات» لا يعني دعوة للأنانية كما يظن البعض، إذ إن محمد إقبال يعد أبعد ما يكون عن الدعوة لتلك الفكرة، فكرة الأنانية، بل إن الذاتية عنده تعد تعبيرًا عن الرزح المنشئ الخلاق، الذي أودعه الله تعالى في الإنسان[3].

موقف إقبال من «التراث»:

أشرنا في تمهيدنا إلى بروز النزعة النقدية في فكر فيلسوفنا، وهي نزعة أصيلة نتضوج أريجها من خلال الوقوف على دواوين شعره، أو كتاباته الفلسفية الخالصة، لا سيما أنه المفكر الذي جمع في جعبته بين الثقافتين، الثقافة الإسلامية، والثقافة الغربية، كما عاشها وتفاعل معها، نقول إن إقبال لم يكن نتاجًا من العدم، وإنما يظل إقبال فكرًا تواقًا إلى المعرفة ونفسًا

(1) د. إبراهيم مدكور: معجم العلوم الاجتماعية - مجمع اللغة العربية.
(2) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تحقيق د. لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر 1963م ص 328.
(3) د. عاطف العراقي: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، الناشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، طبعة أولى 1995م، ص187.

مجاهـدة، عانت أشـد ما تكون المعاناة نحو الكشـف عـن الحقيقة، من هنا فليـس من المسـتغرب ولا الأمر المدهـش، أن نجد هذه النزعـة تتغلب على نفسية الشاعر الفيلسوف.

ونعتقد أن التفسـير النقدي يعد في الواقع قديمًا قدم الفلسفة بمعنى، أننا إذا تسـاءلنا عن خصائص الفكر الفلسفي، وما الشروط التي يجب أن تتوافر في الفكر حتى يكون فكرًا فلسفيًا، وحتى يكون صاحب الفكر فيلسوفًا، فلا بـد أن نضع في الاعتبار أن من الشروط والخصائص المهمة للفكر الفلسـفي، خصوصًا النقد، ومن هنا يكون للتفكير النقدي دلالته الفلسفية[1].

و ينبغي أن نشـير إلى أن نقد إقبال - كما سـيتضح - كان نقدًا إيجابيًا بناء، نقـدًا يعول على الحقيقة والموضوعية أينما كانت من أي صوب أو حدب. إن النقد ليس معناه الاختلاف التام مع هذا الفيلسوف أو ذاك إنما المنهج النقدي الصحيح لا يمنع من الاتفاق مع الآراء التي يعتقد في صحتها الفيلسوف[2].

و يشير أحد الدارسين إلى أن لمحمد إقبال فلسفة خاصة نجد فيها قبسات مـن مذهب الفيلسـوف الأخلاقي « كانت» وفيها نـزوع إلى العمل وتغليب لـه على جوانب النظر الخالـص، و يبدو أن ما حاوله إقبـال في تاريخ الفكر الفلسفي شبيه من بعض الوجوه بما حاوله، « كانت» «في الفكر الغربي»[3].

(1) د. عاطف العراقي: المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد. دار المعارف، ط2 1984م، ص 19.

(2) د. عاطف العراقي: نفس المرجع، ص 23.

(3) د. عثمان أمين، مقال «رسالة محمد إقبال»، (ضمن سلسلة مقالات لكبار الكُتاب) الناشر سفارة - باكستان بالقاهرة 1952م ص75.

يحاول إقبال أن يؤكد لنا على روح النقد عنده من مواضع عديدة، فهو يذهب إلى أنه في محاولته: ينشد بناء الفلسفة الدينية بناءً جديدًا، آخذًا بعيني الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام إلى جانب ما يجري على المعرفة الإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة[1].

فواجبنا يقتضي أن نرقب في يقظة وعناية تقدم الفكر الإنساني، وأن نقف منه موقف النقد والتمحيص[2].

ويرى إقبال: أن روح الفلسفة هي روح البحث الحر تضع كل سند موضع شك ووظيفتها أن تتقصى فروض الفكر الإنساني التي لم يمحصها النقد إلى أغوارها، وتنتهي من بحثها هذا إلى الإنكار، أو إلى الإقرار في صرامة بعكس التفكير العقلي البحت عن اكتناه الحقيقة القصوى. أما جوهر الدين فهو - على عكس - هذا الإيمان[3].

ويطبق إقبال نظرته تلك - على الفلسفة اليونانية وموقفه منها: حيث يعتقد أن الفلسفة اليونانية كانت قوة ثقافية عظيمة من تاريخ الإسلام، ولكن التدقيق في درس القرآن، وفي تمحيص مقالات المتكلمين عن اختلاف مدارسهم التي نشأت ملهمة للفكر اليوناني يكشفان عن حقيقة بارزة هي أن الفلسفة اليونانية مع أنها وسعت آفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام غشت على أفكارهم في فهم القرآن[4].

(1) محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام. ترجمة عباس محمود، دار النهضة المصرية ص2.
(2) المرجع نفسه: ص3.
(3) المرجع السابق: ص5.
(4) المرجع السابق: ص8.

كـما أن مفكرنا ينتقد الثقافة الأوروبية ويخاف على الذات المسـلمة من الفناء أو الانبهار بالآخر، ويؤسـس نقده عـلى أن بعض الجوانب العقلية قد استفادها علماء الغرب من الحضارة العربية الإسلامية.

إن الثقافـة الأوروبيـة في جانبهـا العقـلي ليسـت إلا ازدهـار لبعض الجوانـب المهمـة في ثقافة الإسـلام. وكل الذي نخشـاه هـو أن المظهر الخارجـي البراق للثقافـة الأوروبية قد يشـل تقدمنا فنعجـز عن بلوغ كنهها وحقيقتها.

وكانـت أوروبـا خلال جميـع القرون التـي أصبنـا فيها بجمـد الحركة الفكرية قد بدأت في بحث المشكلات الكبرى التي عنى بها فلاسفة الإسلام وعلمائه عناية عظمى[1].

وإقبـال لم يكن مـن المتعبديـن «بالتراث المقدسـين لـه» الواقفين عند حدوده بدعوى الأصالة، وإنما كان يبعث صيحته المدوية للبعث، والبحث عن الفكر الجديد.

فالجمـود على القديم ضار في الدين كما هو ضار في آية ناحية أخرى من نواحي النشـاط الإنساني فهو يقضى على حرية الذات المبدعة ويسد المنافذ الجديدة للإقدام الروحاني[2].

وينقـد مفكرنا إقبال أفلاطون في ذهابه إلى تقديـس عالم المثل، وتحقيره مـن عالم المادة، إذ المثال هو الثبات والمادة هي المتغير، ويعتقد أن أفلاطون

(1) المرجع السابق: ص 14.

(2) محمد إقبال: تجديد الفكر الديني في الإسلام. ترجمة عباس محمود، دار النهضة المصرية، ص 207.

قد غفل عن المادة وظن أنها أكبر العقبات في سبيل الحياة ويرى - إقبال - أننا يجب أن ندعو إلى تسخيرها والتسلط عليها لا إلى الفرار منها[1].

كما يعرض إقبال بموقفه النقدي خاصة في ديوانه «أسرار خودى» ويرى أن أفلاطون كان على سوء الأثر في الحياة، لأنه يدعو الناس أن يهجروا عالم الحس إلى عالم الخيال، وأن يفروا من هذه الحياة، ويرى إقبال أن عالم المادة كائن لا ريب فيه وأن على الإنسان أن يقهره ويسخره ويجوزه إلى مقاصده، وأن في العمل لتسخير هذا العالم قوة الإنسانية وارتقائها.

يبدأ إقبال هذا الفصل من «أسرار خودي» بقوله:

راهب الماضين أفلاط الحكيم — مذهب المشاء تولى في القديم
طرفة من ظلمة المعقول ضل — في حزون الكون قد أعيا وكل
فكره في غير محسوس نتن — صد عن كف وعين وأذن
قال: في الموت بدا سر الحياة — وخمود الشمع يعلي من سناه(2)

ويحلل الدكتور عثمان أمين، هذا النقد الساخر عند مفكرنا، ويرى أنه أداة لرسالة إنسانية شاملة، رسالة إيقاظ ووعي وعمل تدعو الناس إلى الجد والقوة والثقة والاعتزاز وتستثير الهمم إلى الصعود والطموح وحب الجمال[3].

(1) محمد إقبال: نفس المرجع ص17، انظر أيضًا عثمان أمين: محمد إقبال الناشر دار الثقافة للنشر والتوزيع ص29.

(2) د. عبد الوهاب عزام: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره. مطبوعات باكستان 1954م ص 80.

(3) د. عثمان أمين: محمد إقبال ص 35.